

المقدمة

من هم الموريسكيون؟

محطات تاريخية

طرد الموريسكيين .. قصة اقتلاع أقلية من جذورها

الموريسكيون.. من التنصير إلى التهميش فالطرد

شخصيات تاريخية

بلدات أندلسية منسية

الموريسكيون في السرد الإسباني القديم

التمثل الروائي للأندلس في السرد الإسباني المعاصر

حوار مع الكاتب الإسباني غويتيفيلو

يصادف العام الجاري الذكرى المئوية الرابعة لطرد عشرات الآلاف من المسلمين من الأندلس بعد محنة طويلة اعتبرها كثيرون أول تصفية عرقية في تاريخ الإنسانية.

فبعد أن عمروا البلاد طيلة أكثر من ثمانية قرون شيّدوا خلالها صرحا حضاريا لا تزال الكثير من معالمه قائمة، وجد مسلمو الأندلس (الموريسكيون) أنفسهم في مهب الريح لينتهي حكمهم بسقوط غرناطة عام 1492م، في مؤشر على معاناة طويلة بلغت ذروتها بصدور مرسوم في التاسع من أبريل/نيسان 1609 يقر بطردهم نهائيا خارج إسبانيا.

ومثل طرد الموريسكيين نحو وجهات مختلفة بينها خاصة بلدان شمال أفريقيا، أكثر الفصول قساوة من محنة طويلة ذاق خلالها مسلمو الإنسان شتى أنواع التعذيب والتكيل والقهر والتهميش.

ولا تزال لوحات فنية كثيرة وأعمال أدبية بلغات مختلفة كتبت من فترة العصور الوسطى شاهدة على محنة الموريسكيين باعتبارها عنوانا لمرحلة مفصلية في تاريخ الإسلام وفي تاريخ إسبانيا.

ورغم الصمت الرسمي الإسباني والعربي عن الذكرى المئوية الرابعة لطرد الموريسكيين، فإن جهات أكاديمية وأصواتا أدبية من مثل الكاتب الإسباني الكبير خوان غويتيفولو خلدت الحدث بطرح أسئلة جديدة بشأن هذا الطرد كي لا يطاله النسيان.

كما أن جهات أكاديمية وإعلامية عربية لم تفتها الفرصة لتسلط الأضواء على تلك المحنة التي لا تزال متقدة في ذاكرة المسلمين وأحفاد الموريسكيين الموزعين في أصقاع كثيرة من المعمور.

## من هم الموريسكيون؟

"الموريسكيون" أو "الموريسكي" من المصطلحات المتداولة في التاريخ العربي والإسلامي، لكنه مع ذلك يظل مفهوما مبهما بحكم التعريفات المتعددة والمختلفة التي يرد بها بين باحث عربي وآخر.

وتأتي لفظة "الموريسكي" في الكثير من الكتابات والتصانيف دالة على المسلمين الذين كانوا يعيشون في شبه الجزيرة الإيبيرية (إسبانيا والبرتغال حاليا) بعد فتحها على يد طارق بن زياد، إلى غاية سقوط آخر مملكة إسلامية وهي مملكة غرناطة سنة 1492.

قاموس اللغة الإسبانية يشير بشأن كلمة موريسكي إلى أن مصدرها كلمة "مورو" باللاتينية، وتعني سكان شمال أفريقيا، ثم تحولت إلى لفظة موريسكي Morisco ليشمل معناها المسلمين الذين بقوا في إسبانيا تحت الحكم المسيحي بعد سقوط الممالك الإسلامية، وأجبروا على اعتناق المسيحية.

ويقول الخبير في التاريخ الأندلسي، مانويل باريوس أغليرا من جامعة غرناطة، إن "الوضع القانوني للموريسكي ظهر رسميا في غرناطة وفي باقي مملكة إسبانيا عندما أصدرت السلطات يوم 12 فبراير/شباط 1502 مرسوما يخير المسلمين بين اعتناق المسيحية أو النفي ومغادرة إسبانيا. وهكذا فالموريسكي تعني المسلم الذي اعتنق المسيحية في إسبانيا بعد هذا التاريخ".

وكان المسلمون الذين يعيشون تحت الحكم المسيحي قبل صدور المرسوم المذكور يطلق عليهم اسم المدجنون.

ونصت اتفاقية تسليم غرناطة الموقع عليها يوم 25 نوفمبر/تشرين الثاني 1491 والتي طبقت يوم 2 يناير/كانون الثاني 1492 على احترام المسيحيين لممتلكات المسلمين ومعتقداتهم واستعمال الشريعة الإسلامية كمصدر للقضاء، بل شددت على السماح بالعودة للمسلمين الذين ذهبوا إلى شمال أفريقيا ولم ترقهم الحياة هناك.

غير أن رجل الدين المسيحي الكاردينال سيسنيروس مارس سياسة اللاتسامح مع المسلمين ابتداء من سنة 1499 فحمل المسلمون في غرناطة السلاح ضده لكن سرعان ما جرى إخماد انتفاضتهم.

وفي السنوات اللاحقة، دفع هذا الكاردينال إيزابيلا الكاثوليكية إلى إصدار المرسوم المذكور لمواجهة ما اعتبره "تمرد المسلمين". ويؤرخ المرسوم المذكور من جهة للظهور القانوني للموريسكي، كما يكشف من جهة أخرى إخلال إيزابيلا الكاثوليكية باتفاقية التسليم والتراجع عن بنوده. ويعتبر الكاردينال سيسنيروس الشخصية المحورية في نهاية الإسلام في الأندلس، فقد أجبر جميع المسلمين على اعتناق المسيحية، وقام بإحراق جميع الكتب باستثناء كتب الطب في ساحة باب الرمل في غرناطة والتي تعتبر جريمة في حق الإنسانية، في محاولة لوضع حد للديانة الإسلامية في هذا البلد.

ويبقى المنعطف التاريخي هو الذي أكد عليه المؤرخ ميغيل أنخيل لدير و كيسادا في كتابه "غرناطة: تاريخ دولة إسلامية 1232-1571" أن "صدور مرسوم 1502 الخاص

بتنصير المسلمين كان يعني نهاية المجتمع الإسلامي في غرناطة وإسبانيا والتحول إلى مجتمع موريسكي.

ومنذ عام 1502 دخل المسلمون الذين أضحوا موريسكيين من الناحية القانونية، نفقا مظلما سينتهي بتشتيتهم في عدد من مناطق إسبانيا إلى غاية صدور مرسوم جديد في 9 أبريل/نيسان 1609، أقر بالطرد النهائي بعدما عانى الكثير منهم من ويلات محاكم التفتيش.

ويتعدد استعمال هذا المصطلح في الوقت الراهن، فالباحثون يحافظون على مفهومه التاريخي والقانوني، أي يطلقونه على المسلمين الذين تحولوا قهرا إلى المسيحية والذين هجروا في بداية القرن السابع عشر إلى عدد من مناطق البحر الأبيض المتوسط، كما تطلقه الصحافة وبعض المفكرين ومن ضمنهم الكاتب الإسباني خوان غويتيسولو على المغاربة الوافدين على إسبانيا في إطار الهجرة، حيث يجري تسميتهم "الموريسكيون الجدد".

## محطات تاريخية

- 25 نوفمبر/تشرين الثاني 1491: التوقيع على اتفاقية تسليم غرناطة التي نصت على احترام المسيحيين ممتلكات المسلمين ومعتقداتهم واستعمال الشريعة الإسلامية كمصدر للقضاء.

- 2 يناير/كانون الثاني 1492: بدء تطبيق اتفاقية تسليم غرناطة التي نصت أيضا على السماح بالعودة للمسلمين الذين ذهبوا إلى شمال أفريقيا ولم ترقهم الحياة هناك.

- ابتداء من سنة 1499: مارس الكاردينال سيسنيروس سياسة اللاتسامح مع المسلمين فحمل المسلمون في غرناطة السلاح ضده لكن سرعان ما جرى إخماد انتفاضتهم .

- 12 فبراير/شباط 1502: صدور المرسوم الخاص بتنصير المسلمين والذي يعني نهاية المجتمع الإسلامي في غرناطة وإسبانيا والتحول إلى مجتمع موريسكي.

- 1568: انطلقت ثورة البوخارا وامتدت إلى غاية 1571 وتزعمها فرناندو القرطبي الذي استعاد اسمه العربي وهو بني أمية من سلالة خلفاء قرطبة في الماضي لكن الملك فيليب الثاني قضى عليها بالحديد والنار.

- 9 أبريل/نيسان 1609: صدور مرسوم يقر بالطرد النهائي للموريسكيين بعدما عانى الكثير منهم من ويلات محاكم التفتيش.

- 22 سبتمبر/أيلول 1609: بدء تطبيق مرسوم طرد الموريسكيين.

## طرد الموريسكيين .. قصة اقتلاع أقلية من جذورها

غرناطة-حسين مجدوبي

أصدرت إسبانيا وبضغط من الكنيسة الكاثوليكية، طيلة القرن الـ16، مراسيم متعددة تهدف إلى اقتلاع الموريسكيين من جذورهم التاريخية ومنع تداولهم اللغة العربية، وإجبارهم على الأكل في رمضان.

وجوبت تلك المراسيم بانتفاضات من الموريسكيين أبرزها انتفاضة البوخارا "البشرات" سنة 1568، وساهمت جميعها رفقة عوامل أخرى في إقرار الطرد النهائي لهم من شبه الجزيرة الإيبيرية سنة 1609.

ووفق مؤرخين إسبانيين أمثال سانثيس ألبرنوث وأمريكو كاسترو وفلورنسيو جانر وخوليو كارو باروخا، فإن عوامل ثلاثة كانت وراء طرد الموريسكيين، أولها حفاظهم على تماسكهم وسط المجتمع الإسباني بتشبثهم بالتقاليد الإسلامية رغم اعتناقهم ظاهريا المسيحية، بينما كانت إسبانيا تسعى في وحدة دينية.

وثاني تلك العوامل اكتساب الكنيسة للدور السياسي، وتعاضم ضغوط رجال الدين لطرد الموريسكيين وأبرزهم الراهب خايمي بليدا صاحب كتاب "دفاعا عن العقيدة" (1601) الذي اعتبر فيه طرد الموريسكيين سبيلا للدفاع عن المسيحية.

أما العامل الثالث فيكمين في النزاعات التي كانت قائمة بين إسبانيا ودول مثل فرنسا وتركيا والمغرب، حيث كانت تخشى من تحول الموريسكيين إلى طابور خامس.

وأخيرا، اتخذ الملك فيليبي الثالث في 9 أبريل/نيسان 1609 قرار طرد الموريسكيين، وبقي سرا حتى تطبيقه يوم 22 سبتمبر/أيلول من السنة نفسها. وجمع -ولأول مرة- رودريغو دي سايا في كتابه الأخير "الموريسكيون وعنصرية الدولة" جميع المراسلات السرية للكنيسة وللسلطات الإسبانية وقتها بشأن كيفية اتخاذ قرار الطرد وتفعيله.

وتتضارب المعطيات العربية والإسبانية بشأن عدد الموريسكيين المطرودين، فالكتابات العربية وخاصة المغربية تتحدث عن أكثر من مليون منفي، لكنها تفتقد الوثائق التي تدعم ذلك.

في المقابل تشير الوثائق الإسبانية إلى ما مجموعه 272 ألفا حسب التوزيع التالي: 117 ألفا و464 موريسكيا من منطقة فالنسيا، وستون ألفا و818 من أراغون و44 ألفا و625 من كاستيا وإكستيمادورا وقرابة ثلاثين ألفا من غرب الأندلس و13 ألفا و552 من مورسيا وثلاثة آلاف و716 من إقليم كاتالونيا وألفان و26 من غرناطة.

وترجع النسبة المنخفضة للموريسكيين المطرودين من غرناطة إلى كون موريسكييها قد نُفوا منها ومن ضواحيها تدريجيا طيلة القرن الـ16، خاصة بعد ثورة 1568. ويؤكد المؤرخ لويس بنيتي دي لوغو في مقاله بمجلة "إيستورياس" عدد 301 أن ثلث الموريسكيين ماتوا أثناء عملية النفي ومنهم من عاد سرا إلى إسبانيا.

واستغرقت عملية الطرد الفترة بين 1609 و1614، وبينما كان ترحيل الموريسكيين المقيمين بفالنسيا وكاتالونيا عملية سهلة بحكم أن الطرد تم عبر البحر، فإن طرد موريسكيي إكستريمادورا وكاستيا تطلب جهودا جبارة تتجلى في اعتقال من يعيشون متفرقين في الضيعات الزراعية ونقلهم إلى الموانئ.

وذكر المؤرخ الإسباني مكيل دي أبلاسا فيرير في كتابه "الموريسكيون قبل وبعد الطرد" أن التهجير تم باتجاه الشام وتركيا وليبيا وأساسا نحو دول المغرب العربي، وبالأخص نحو المغرب بسبب القرب الجغرافي.

ويقول المؤرخ المغربي عزوز حكيم للجزيرة نت "إن المغرب استقبل أكبر عدد من الموريسكيين المهجرين قسرا، فهو البلد العربي والإسلامي الذي توجد به أكبر نسبة من العائلات الموريسكية، وهناك مدن أندلسية حقيقية مثل تطوان وشفشاون".

واستنتجت المؤرخة الأرجنتينية ماريا إلفيرا سارغاسو في بحث لها وصول الموريسكيين إلى الأرجنتين، عبر دراستها لبعض تجمعات السكان المنعزلين، كانوا يمارسون طقوسا مسيحية أشبه بما كان يمارسه الموريسكيون في إسبانيا، يؤمنون بالمسيح ولا يشربون الخمر ولا يأكلون الخنزير ويصومون بعض الأسابيع ولا يحتفلون بأعياد السنة الميلادية.

## الموريسكيون.. من التنصير إلى التهميش فالطرد

يعتبر مرسوم تنصير المسلمين في إسبانيا الصادر يوم 12 فبراير/شباط 1502 منعظا حاسما في تاريخ هذا البلد، إذ شكل نهاية آخر مجتمع إسلامي في إسبانيا، وبداية مرحلة سياسية قاسية من التهميش والتخوين والإذلال للموريسكيين استمرت أكثر من قرن، وانتهت بالطرد النهائي لهم سنة 1609.

وقد ترتب عن مرسوم 1502 ظهور الوضع القانوني للموريسكيين، أي المسلمين الذين أكرهوا على اعتناق المسيحية لتفادي الطرد من إسبانيا. ويقول الباحث الإسباني في الحضارة العربية رودولفو خيل غريماو "إن مرسوم 1502 قد أنهى إسبانيا الثقافات الثلاث: الإسلامية والمسيحية واليهودية التي سادت إبان الحكم الإسلامي، وحل محلها التهميش المطلق للموريسكيين".

وكان مرسوم 1502 لا يروم تنصير المسلمين فحسب بل كان يصبو إلى اقتلاعهم من جذورهم، وتغيير لغتهم من العربية إلى القشتالية، وإرغامهم على التخلي عن العادات والتقاليد والأسماء العربية وغيرها.

ويستنتج الباحث خيل غريماو النتيجة ذاتها بتأكيده على أن الهدف من ذلك كله "هو إجبار الموريسكيين على نسيان ثمانية قرون من تاريخهم في شبه الجزيرة الإيبيرية".

ومارست إسبانيا سياسة تهميش ممنهجة للإدماج المفروض على الموريسكيين، وتفيد الوثائق التاريخية الإسبانية بأن سياسة التهميش تجلت في سن -على نحو تدريجي- قوانين تسلب الموريسكيين تاريخهم.

ومن تلك القوانين منع الحمامات العمومية التي اشتهر بها العرب، وفرض ضريبة عالية لكل من أراد أن يلبس على الطريقة العربية. وكانت الكنيسة ترسل امرأة لحضور عملية الولادة لدى الموريسكيين حتى لا يتم قراءة الشهادة في أذن الوليد، والإبقاء على أبواب المنازل مفتوحة يوم الجمعة، وفي تواريخ الأعياد الإسلامية حتى يراقبون في الوقت ذاته الموريسكيين عند حلول شهر رمضان، ودعوتهم للأكل وشرب الخمر علانية حتى يظهروا عدم صيامهم.

وجرى إنشاء مدارس في بعض المدن مثل غرناطة وألمرية وواديكس خاصة بأبناء الموريسكيين لتعليمهم اللغة الإسبانية، وتعاليم الدين المسيحي. ومن جهة أخرى، فرضت السلطات رقابة مشددة على السلاح، إذ منع الموريسكيون من حمل السلاح إلا بترخيص من حاكم المدينة أو البلدة كما منع الحديث باللغة العربية.

وأمام كثرة القوانين المتشددة، تحول الموريسكيون -أصحاب حضارة قصر الحمراء وجامع قرطبة والخيرالدا في إشبيلية، وأصحاب الفكر الإبداعي الإنساني الراقى- إلى مجرد عاملين في الحقول وممتهين مهنا مرفوضة، فلم تكن حالتهم أحسن من العبيد.

وسعى الموريسكيون في إقناع الملوك الإسبانين بالتخفيف من القيود، فكانوا يحصلون على تنازلات بعد تأدية ضرائب مرتفعة لا يُلبث أن يتم التراجع عنها بسبب اعتلاء ملك جديد العرش.

وأمام الحيف والضغط المتزايد، ثار الموريسكيون مجددا في منطقة ألبوخارا بإقليم غرناطة وهي من أشهر الثورات وامتدت سنتين من 1568 إلى 1571 وتزعمتها فيرناندو القرطبي الذي استعاد اسمه العربي وهو بني أمية من سلالة خلفاء قرطبة في الماضي لكن الملك فيليبي الثاني قضى عليها بالحديد والنار.

ودرج المؤرخون الإسبان على استعمال مصطلح "التمرد" لوصف ثورة ألبوخارا، لكن المؤرخ وباحث علم الاجتماع خوليو كارو باروخا، استعمل لفظة ثورة وأكد أن "الموريسكيين ثاروا في ألبوخارا وفي عدد من المناطق واختاروا القائد بني أمية ملكا عليهم، وأعادوا أغلب مظاهر الحياة الإسلامية من مساجد وتقاليدهم. لقد كانت محاولة لإعادة مملكة غرناطة".

ثورة غرناطة واستمرار المسلمين في التثبيت بدينهم رغم ادعائهم اعتناق المسيحية، والخطر الذي كان يتهدد إسبانيا من المغرب وتركيا، والتخوف من تعاون الموريسكيين معهم، جعل حكام إسبانيا يعتقدون في خطر الموريسكيين، فكان القرار الأثم الذي أصدره



فيليبى الثالث يوم 9 أبريل/نيسان 1609 بنفى المورييسكيين، لتبدأ رحلة العذاب التي قلما شهد التاريخ مثيلا لها.

## بلدات أندلسية منسية

ثمانية قرون من الحضارة الإسلامية في إسبانيا تركت بصمات في مجال العلم والعمارة والفن ومختلف المجالات الإبداعية والحياتية، وتحفظ الذاكرة العربية بمعالم وأسماء مدن مثل غرناطة وإشبيلية وقرطبة ذات التاريخ المجيد، لكن خريطة إسبانيا تكشف عن عشرات المدن الصغيرة ومئات القرى التي تحمل أسماء عربية وتحفظ بمآثر ما زالت شاهدة على هذا التاريخ.

فإلى جانب المدن المذكورة، توجد حواضر لعبت دورا في تاريخ إسبانيا الإسلامية وهي معروفة نسبيا مثل مالقا وألمرية وجاين ورنده التي تشتهر بشاعرها الكبير أبو البقاء الرندي الذي رثى الأندلس في قصيدة خالدة مطلعها :  
لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغربطيب العيش إنسان  
هي الأمور كما شاهدها دول ومن سره زمن ساءته أزمان

ومن جانب آخر، تطول قائمة البلدات الإسبانية التي تحمل أسماء عربية لا يكاد يعرفها إلا المتخصصون مثل حواضر "ميدينا سالي" و"كتاليود" و"ميريدا" و"غواديكس" و"بينالي" و"رونده" و"مدينة الزهراء" إلى جانب بلدة أخرى مثل:

**بلدة "الحامة"**: وهي قريبة من غرناطة، وبلدة "كارمونا" إحدى مقاطعات إقليم إشبيلية، و"بخير" الواقعة ضمن إقليم قاديس، تعد نموذجا لحواضر أندلسية احتفظت بأسمائها العربية إلى اليوم وكانت في الوقت ذاته مسرحا لأحداث تاريخية حاسمة.

فالحامة كانت معقلا قويا لمملكة بني نصر بغرناطة، وسقوطها عام 1482 في يد المسيحيين كان إيذانا ببدء حرب غرناطة التي دارت رحاها بين الملوك الكاثوليكين ومملكة بني نصر.

وبالحامة مآثر أندلسية "كالسوق القديم" وبعض بقايا الأسوار والقلاع الكبيرة، ثم الحمامات العربية وقد ظلت قائمة بكل عمرانها الإسلامي، ناهيك عن الأزقة والمضايق التي تنطق جميعها بروح عمرانية أندلسية طافحة.

**بلدة "كرمونا":** فتحها طارق بن زياد (713م)، وقادها عسكريا موسى بن نصير. نزل بها بعض أبناء قبائل صنهاجة ومصمودة، وكذلك بعض العرب، هي بلدة النحوي الأندلسي الخطاب بن مسلمة (906 م)، واستولى عليها المسيحيون في 1247.

يوجد بالبلدة المسجد الأعظم الذي كان تحول إلى كنيسة، واحتفظ جزء منه بمعالمه الإسلامية ويظهر أساسا في "باحات البرتقال". كما أن القسم القديم من البلدة عمرانه يشي بالطابع الإسلامي.

**بلدة "بيناهما":** أي بني محمد، تقع جنوب الأندلس وتنتسب إلى "البلدات البيضاء" "بويبلوس بلانكوس"، لتمييزها بلون عمرانها الأبيض. تقع في منتجع جبلي سهوله الخضراء الفاتنة والوديان المتدفقة، يسمى "غراساليماء" أي "رأس الماء". ألوان الشرفات وواجهات المباني والأسقف، وبقايا آلات الري الإسلامية توثق ذاكرتها العربية.

**بلدة "بيخير":** هي كذلك من "البلدات البيضاء" مدينة شبيهة جدا بمدينة شفشاون المغربية التي أسسها الموريسكيون بعد طردهم من الأندلس، تقع على هضبة عالية منحتها وضعا بهيا.

دخل المسلمون تلك البلدة عندما عبر طارق بن زياد المضيق وانتصر على الملك رودريغو، ظلت تحت إمرتهم خمسة قرون ونصف القرن، عادت إلى يد المسيحيين في عهد الملك فيرناندو في العام 1250م، ثم استعادها المسلمون بعد ثورة في العام نفسه، ثم آلت إلى المسيحيين في 1264.

بها مآثر تاريخية عربية مثل القلعة وأجزاء من السور القديم، والأقواس العربية الموزعة بين الدروب، ومسجدها الكبير الذي تحول إلى كنيسة من دون أن تمحى معالمه الإسلامية نهائيا.

**مدينة لوشة:** من المدن الأندلسية الشهيرة والتي فتحها العرب في السنة نفسها من فتح الأندلس 712. هذه الحاضرة الصغيرة تعود إلى كونها آخر القلاع التي سقطت في يد إيزابيلا الكاثوليكية سنة 1486، ست سنوات قبل سقوط غرناطة. من أبرز أبناء المدينة لسان الدين بن الخطيب.

وفي ظل مراجعة الإسبانين لتاريخهم وتراجع النظرة الدينية المسيحية الضيقة، بدؤوا يهتمون بمخلفات الحضارة الإسلامية وعلى أنها جزء من تاريخهم، وهذا ما خلق اهتماما كبيرا بهذه المآثر من حيث الصيانة وتوظيفها سياحيا.

## شخصيات تاريخية

### 1- إيزابيلا الكاثوليكية:

- الملكة إيزابيلا الأولى (1451-1504) وتعرف أيضا بإيزابيلا الكاثوليكية Isabella la Catholica. كانت ملكة على قشتالة أو كاستيا ثم إسبانيا، وارتبط اسمها بقرارات حاسمة في تاريخ إسبانيا.

- أصبحت ملكة قشتالة عام 1469 بعد وفاة أخيها هنري الرابع، تزوجت من فرناندو الثاني الأراغوني، لعبت دورا كبيرا في إنهاء الحكم الإسلامي بالأندلس.

- استطاعت الملكة إيزابيلا الأولى وزوجها الاستيلاء على الممالك الإسلامية في الأندلس تباعا، إلى أن غزت غرناطة آخر معاقل الموريسكيين، وأطاحت بحكم أبو عبد الله عام 1492.

- بعد سقوط غرناطة، أمرت الملكة إيزابيلا الأولى بإنشاء محاكم التفتيش بمراقبة توماس دي توركيمادا والتي كانت تقيم محاكمات لليهود والمسلمين.

### 2- الملك فرناندو الثاني:

- فرناندو الثاني (1452-1516) أحد الملوك الكاثوليك، وهو ابن الملك خوان الثاني من زوجته الملكة خوانا. كان فرناندو ملكا لأرغون ثم إسبانيا بعد وحدتها مع قشتالة وزواجه من إيزابيلا الأولى ملكة قشتالة.

- بعد ذلك الزواج تمكن الإسبان في ظل حكم فرناندو الثاني وإيزابيلا الأولى -الذين أطلق عليهما البابا لقب الملوك الكاثوليك- من طرد العرب من الأندلس بعد أن مكثوا هناك ما يزيد على ثمانية قرون.

### 3- توماس دي توركيمادا:

- توماس دي توركيمادا (1420-1498) هو قس كاثوليكي. كان أمين سر الملكة إيزابيلا الأولى، وهو أول من أسندت إليه مهمة الإشراف على محاكم التفتيش التي كانت موجهة ضد اليهود والمسلمين.
- كان بمثابة كبير المحققين فيها بمحاكم التفتيش. ويعتقد البعض أن دي توركيمادا ينحدر من أصول يهودية.
- يعد من كبار المتحمسين لظهير الحمراء أو مرسوم الطرد الذي أصدره فرناندو الثاني وإيزابيلا الأولى يوم 31 مارس/ آذار 1492 أي بعد ثلاثة أشهر من سقوط غرناطة. ويقضي ذلك المرسوم بطرد اليهود من إسبانيا والمناطق التابعة لحكمها في أجل أقصاه 31 يوليو/ تموز 1492.

### 4- غونزالو سيسنيروس:

- كان الكاردينال غونزالو سيسنيروس (1436-1517) أحد أبرز مساعدي الملكة إيزابيلا الأولى وأمين سرها بعد توماس دي توركيمادا. احتفظ التاريخ باسمه كشخصية كبيرة ومؤثرة في تاريخ البلاد بالنظر إلى الأدوار التي لعبها في تدبير بعض لحظات انتقال السلطة، وفي السياسة الدينية لإسبانيا.
- هو ثالث من يتولى الإشراف على محاكم التفتيش. بدأ سياسة اللاتسامح مع المسلمين ابتداء من سنة 1499 فحمل المسلمون في غرناطة السلاح ضده لكن سرعان ما جرى إخماد انتفاضتهم.
- يعتبر الشخصية المحورية في نهاية الإسلام بالأندلس، فقد أجبر جميع المسلمين على اعتناق المسيحية، وقام بإحراق جميع الكتب باستثناء كتب الطب في ساحة باب الرمل في غرناطة.
- قاد حملة دخول الإسبان على الجزائر من مدينة وهران سنة 1505.

### 5- الملك فيليب الثالث:

- الملك فيليب الثالث (1578-1621) هو صاحب قرار طرد الموريسكيين الذي صدر يوم 9 أبريل/ نيسان 1609 ولم يصبح ساري المفعول إلا في سبتمبر/ أيلول من نفس العام، وتطلب تطبيقه سنوات.

- وجاء ذلك بعدما تبين للملك فيليب الثالث أن الموريسكيين لا يزالون مشدودين بالحنين لماضيهم أكثر من رغبتهم بالاندماج في إسبانيا المسيحية، وهذا قد يدفعهم مستقبلا للتحالف مع المغرب أو الإمبراطورية العثمانية التي أصبحت سيده البحر الأبيض المتوسط.

- كما رغب ملك إسبانيا من خلال ذلك القرار الذي جاء بإيعاز من القس خوان دي ريبيرا وضع حد للاتهامات الرائجة في باقي دول أوروبا التي تعتبر إسبانيا هي الدولة المسيحية الوحيدة التي تعيش بين ظهرانيها أقلية مسلمة، علاوة على الانعكاسات التي حملتها ثورة المسلمين في منطقة البوخارا في غرناطة ما بين سنتي 1568-1571 ضد السلطات المسيحية وقتها.

### **6- أبو عبد الله الصغير**

- هو أبو عبد الله محمد آخر ملوك بني الأحمر في الأندلس. لقب بالصغير تمييزا عن عمه (الزغل) الذي يحمل نفس الاسم أبو عبد الله محمد. تولى مقاليد الحكم مكان أبيه في غرناطة أواخر عام 1482 ( 887هـ) وهو في ربيع الخامس والعشرين، لكنه لم يمكث طويلا في الحكم حيث وقع أسيرا بيد الملك فرديناند عام 1483 ( 888 هـ).

- بعد ذلك آل حكم غرناطة لعمه الزغل حاكم ملقا، وفي غضون ذلك انطلقت مفاوضات لإطلاق سراح أبو عبد الله الصغير انتهت بالإفراج عنه، بعد أن أرغم على توقيع معاهدة أعلن بموجبها خضوعه وطاعته للملك فرديناند والملكة إيزابيلا الأولى. عاد إلى حكم غرناطة عام 1487 لكن بعض أجزاء المدينة بقيت تحت سلطة عمه، وهو عنوان بارز لتمزق الحكم الإسلامي في الأندلس.

- في غضون ذلك كثف الملوك الكاثوليك حملاتهم على المعاقل المتبقية من الحكم الإسلامي في إسبانيا انتهت بالاستيلاء على غرناطة، وخروج الملك أبو عبد الله الصغير منها وهو يبكي في الثاني من يناير/ كانون الثاني 1492م. غادر الأندلس إلى أفريقيا ، واستقر في مدينة فاس بالمغرب، ومات هناك بعد أربعين سنة.

## الموريسكيون فى السرد الإسبانى القديم

محمد المودن- إشبيلية

تعاطى الأدب الإسبانى منذ سقوط الأندلس وإلى اليوم، مع الموريسكيين، واتخذهم موضوعا سرديا مركزيا فى بعض أجناسه، حتى صار ينعى بموضوعه فكانت بذلك الرواية الموريسكية.

وبقدر من التفاوت انبرى الرومانثيرو (أشعار إسبانية شفاهية تعود للعصور الوسطى)، والرواية البيكاريسكية (أو الرواية الشطارية) الاحتفاء التخيلي بالموريسكيين وبعوالمهم، وخصصت أعمال سردية لاحقة لميغيل سيرفانتيس 1547 حيزا من عوالمه التخيلية لشخصيات موريسكية.

فى العام 1595 كتب هينيث بيريث دي هيتا أول الأعمال السردية الموريسكية وهو عبارة عن كتاب "الحروب الأهلية فى غرناطة أو تاريخ طوائف الثغريين وبني سراج" الذى صدر على جزئين.

فى الجزء الأول نقل الكاتب المواجهات الدموية بين طوائف غرناطة، بينما رصد فى الثانى حملة الملك فيليبي الثانى 1568 على الموريسكيين لإخماد ثورتهم بمنطقة البشرات، وقد اختار دي هيتا لسرد هذه الأحداث قصصا مثل "التوزانى ومليحية"، وهى جلها تعرض لمظاهر "تنصير" المسلمين مثلما حدث لبطل القصة "التوزانى".

وفى السياق ذاته تحتفى رواية "قرمان الفراجى" لماطيو أليمان من خلال قصة "عثمين ودراجة" الواردة فى جزئها الأول بموضوع "التنصير" الذى أصبح "مصيرا سرديا" لكافة الشخوص الموريسكية. ويعتبر الكاتب المغربى محمد أنقار أن من مظاهر التنصير المتحكم فى هذه القصة، تلك الصورة التى "تبدو فيها إيزابيلا تجرد "دراجة" من ملابسها الموريسكية وتلبسها أخرى قشتالية".

وجنحت أعمال مثل "ابن رضوان" أو "محسودة النبلاء" اللتين ألفهما فيليكس لوبيث دي فيغا إلى تخفيف وطء "القذحية" الملتصقة بالموريسكيين، وقد أكدت على هذا المنحى صوليداد كراسكو أورغوييتى وهى مختصة فى الأدب الموريسكى، حينما جازمت بأن أعمال دي فيغا قد "أثرت خطابا تصالحيا".

وعلى خلاف الرواية الموريسكية، بدت صورة الموريسكي في الرومانثيرو بوجهين: قدحية ونبيلة. ويؤكد الناقد المصري صلاح فضل بشأن الثانية أن السارد بدا متبنيا "وبتعاطف وحب عميقين وجهة نظر الخصم وتعرض مشاعره الغالية باحترام وإعجاب".

ووفرت الرواية البكاريسكية، حفا من عالمها التخيلي للموريسكي، ورأت فيه الشخصية المثلى المطلوبة. وقد تجلى في معظم تلك الأعمال بصور مشينة، حيث بدا في "حياة لثاريو طورميس" مستعبدا، وسردت الرواية نشأته وبلوغه بصور متخمة بالقسوة والبؤس.

وتورد قصة "حياة البوسكون" الموريسكي منعوتا بصورة لا تقل قدحية مثل "السارق". وفي "ابنة سيليستينا" يُطل الموريسكي منحدرًا من أصل المسيحيين الجدد، أي من أولئك الذي تخلوا عن ديانتهم الإسلامية وتحولوا إلى المسيحية.

وتحضر في أعمال ميغيل دي سيرفانتيس المختلفة ومنها "دون كيشوت دي لا منشا" شخصيات موريسكية وكذلك إشارات إلى حياة هذه الأقلية، وهي تبدو بملامح دونية. فالقارئ لسرده يطالعه موريسكيون في صفات السارق والعدو والخائن.

ويرى باحثون أن هذه الصورة ليست ثابتة عن الموريسكيين في كامل أعماله، إذ هي تتغير مع تقدم الزمن باتجاه تخفيف قدحية الصورة المركبة سرديا عن هؤلاء الموريسكيين.

فبينما يتم في "حمامات الجزائر" و"حديث الكلاب" توجيه نقد لاذع للموريسكي، يعمد الكاتب الإسباني في أعمال أخرى مثل "الموريسكي ريكوتي"، إلى "إظهار نوع من التعاطف والتراحم" مع الموريسكي.

ويرى البعض الآخر في "حصول اتحاد بين شخصيتي غريغوريو وأنا فيليكس دليلا على تطلع سيرفانتيس نحو الاتحاد بين الأعراق".

ويمضي الجدل قائما بين الباحثين المعاصرين حول حقائق جديدة مثارة بشأن الموقف الحقيقي لسيرفانتيس من الموريسكيين، بينما من يرون أن الصيغة التي يجلي بها سيرفانتيس شخصياته الموريسكية وثقافتهم إنما هي "تقية" تفاديا لمراقبة السلطات على اعتبار أن سيرفانتيس هو نفسه من أصل موريسكي.

## التمثل الروائي للأندلس في السرد الإسباني المعاصر

محمد المودن- إشبيلية

أمدت "الأندلس" الكتابة السردية الإسبانية المعاصرة بزاد تخيلي غني، ساهم في إثراء خطابها الروائي. وقد استبد نوع الرواية التاريخية بالنصيب الأكبر من الإمكانيات الحكائية المستفادة من تاريخ الأندلس.

ولم تكن المطالب الجمالية أو الأدبية هي رهان هذا النوع الروائي، بل المقاصد الإنسانية والقيمية والفكرية التي نضحت بها مرحلة الأندلس.

### إحياء قيم

يشيد الخطاب الروائي لـ "المخطوط القرمزي" لأنطونيو غالاً، و"الزعفران" (2005) لخوسي منويل غارسيا مارين، بقيم التعدد والانفتاح في الحقبة الأندلسية. ففي الأولى يبدي الكاتب الذي تناول فصلاً من محنة سقوط غرناطة، انحيازاً سردياً لافتاً للملك أبي عبد الله الصغير من خلال الإمعان في إظهار إنسانيته، ولم يكن انتصاره له إلا انتصاراً لقيم التعدد والسلم التي جسدتها مرحلة الملك الأندلسي، وتنديداً بالتعصب الذي أعقب سقوط الأندلس.

وتتناول "الزعفران" رحلة فقيه مسلم يدعى المختار بن صالح من إحدى البلدات الأندلسية نحو غرناطة، ويتحول طريقه إلى مستهل رحلة باتجاه معرفة الجوهر الروحي للديانات الثلاث.

ويغدو هذا الانفتاح المعرفي مؤشراً حكائياً على التسامح. ويشير المؤلف إلى "أن ذاك التعايش والتسامح دل عليه ازدهار الفنون والعلوم وسمو الثقافة في الأندلس، ولو كان هناك عداً أو حروب لما أمكن تشييد معالم بجمال قصر الحمراء".

### احتفاء بالتاريخ

وتطلعت روايات أخرى إلى إحياء الوجه المغيب من الحضارة الأندلسية في التاريخ الإسباني، وتشكل رواية "مهندس تامبوكتو" (2009) لمنويل بيمنتيل نموذجاً لذلك، وتتخذ من شخصية أبي إسحاق الساحلي الغرناطي الشاعر والمهندس المعماري بطلاً روائياً، كان وصل إلى فاس سفيراً، وتعرض لمؤامرة.



وبينما كان الساحلي يتعافى كتب سيرته ورحلته التي تنقل فيها بين القاهرة ودمشق وبغداد واليمن ثم تامبوكتو التي بني بها المسجد الكبير. واعتبر بيمينتيل أن رواياته هي "احتفاء بالأندلس التي يغيبونها من تاريخ إسبانيا"، موضحاً أنه لما وصل العرب إلى شبه الجزيرة الإيبيرية "كان الكل مختبئاً في كهوف".

### إنصاف الموريسكيين

وسعت أعمال أخرى معاصرة في تخليص الموريسكي من الإطار القديح الذي وضعت فيه الرواية الموريسكية والشطارية وكذلك كتابات سيرفانتيس، فأعدت تشكيله روائياً، محققة قدرها من الإنصاف الإنساني والحضاري.

ففي رواية "درج الماء" لخوسي منويل غارسيا مارين، يبدي السارد تعاطفاً كبيراً مع شخصية "أنخيل" التي ستكتشف أنها من أصول موريسكية، وهو سر كان يتوارثه أهل البلدة بمنطقة حدودية مع البرتغال فروا إليها بعد اشتداد ملاحقة محاكم التفتيش.

وتبدو شخصيتان موريسكيتان بالقدر نفسه من التعاطف الروائي والإنساني في رواية "لكمونيرا" للكاتبة الإسبانية توتي مارتينيث دي ليثيا، الأولى هي خادمة للسيدة ماريا باشيكو، والثانية طبيب عربي يعيش في البرتغال منفيًا بعدما رفض اعتناق المسيحية بعد سقوط غرناطة.

وتوضح توتي أن روايتها التاريخية تهتم وتنصف "الذين لم يكونوا ملوكاً بل أناساً عانوا من الحروب والجوع والتمييز الاجتماعي والديني" وفي سياق ذلك الإنصاف تندرج الشخصيتان الموريسكيتان.

### منظور مخالف

تعتمد رواية "القوطية" (2006) لأيسابيل سان سيباستيان إلى إعادة تركيب جزء من الذاكرة الأندلسية سردياً لكن من منظور مخالف، تجعل أبطالها من الإمارات المسيحية المجاورة للمماليك الأندلسية وتتحدث عن قصة فتاة قوطية يتم تسليمها من حاكم أستورياس إلى الأمير القرطبي ضمن الإتاوات التي يدفعها لحاكم قرطبة، وسيسعى البطل القوطي في تخليصها من الأمير القرطبي. وبينما تتعاطف الرواية إنسانياً مع أبطالها غير المسلمين فإنها تنسج في المقابل صورة من الاستبداد للسلطة الإسلامية في الأندلس.

## حوار مع الكاتب الإسباني غويتيفيلو

س: كتبتم في منتصف مارس/آذار الماضي مقالا في صحيفة إلبايس الإسبانية تقولون فيه إن إسبانيا الرسمية والأكاديمية تتفادى الإشارة إلى الذكرى المئوية الرابعة لطرد الموريسكيين. لماذا في نظرك هذا الصمت المزدوج عن ذكرى طرد الموريسكيين؟

ج: هذه الذكرى مهمة للغاية لأنها تخلد أحداثا كبيرة عرفت إسبانيا، ولكنها ذكرى تزعج كثيرا السلطات الإسبانية سواء من هي في اليمين او في اليسار، ومن هو رسمي أو أكاديمي وغير ذلك. ومرد الإزعاج إلى أن محاكمة الموريسكيين دامت زمتا طويلا وابتدأت منذ سقوط غرناطة عام 1482م. وقد نص اتفاق سقوطها على ضمان الحرية الدينية واللغوية والثقافية للمنهزمين، لكن السلطات الإسبانية يومذاك انقلبت على الاتفاق بعد ذلك، وأرغمت جميع سكان غرناطة على اعتناق الكاثوليكية، ثم أرغمت السكان القادمين من الأندلس العربية على الأمر نفسه، وقد كانوا من قبل يتمتعون بالحرية الدينية مقابل ضرائب كانوا يدفعونها لروما. ومن هنا بدأت الحكاية الموريسكية. ثم جاءت سنة 1516 فمنعت السلطات أيضا العادات والتقاليد والأزياء الخاصة. وازدادت الأوضاع سوءا فمنعت اللغة العربية، لكن مسلمي غرناطة ثاروا بعد ذلك، فسحقت ثورتهم على مدى عام ونصف وتعرضوا للتشريد والشتات بناء على قرار رسمي.

س: هل اتخذ القرار بالإجماع، ألم تكن هناك معارضة له

ج: من المهم الاطلاع على الوثائق التي تتحدث عن تلك الفترة، خاصة المشاورات والآراء الداخلية حول معاملة الموريسكيين وطردهم. فقد كان هناك من عارض الإبعاد والنفي بقوة وقدم مراعاة جيدة ومنطقية. وأغلب هؤلاء المعارضين كانوا من "المسيحيين الجدد" وهم اليهود الذين أرغموا على ترك دينهم واعتناق المسيحية من قبل، وعندما كانوا يدافعون عن الموريسكيين فكأنما كانوا يدافعون عن أنفسهم. وبالمقابل كانت السلطات المتشددة لا تقبل هذا، واقترحت إجراءات قاسية جدا، مثل إبعاد الموريسكيين إلى جزر بعيدة بالقرب الشمالي أو الجنوبي، وحرمانهم من فحولتهم

بالإخفاء، أو حملهم في سفن مثقوبة حتى يموتوا في قلب البحار والمحيطات. وهذه المعاملات قادتها الكنيسة الكاثوليكية وكافأت القس الذي قاد هذه الحملة إلى درجة قديس. وطبعا هذه معاملة أشد وحشية من النازية. لكن الكارثة الأشد قسوة بالنسبة للموريسكيين هو اجتثاث ثقافتهم وتطهير إسبانيا منها، وهناك كتاب حديث الصدور لمستعربة من بورتوريكو تناولت فيه هذه الكارثة وسمت كتابها "موت ثقافة آخر الموريسكيين بإسبانيا"، وقد كتبت عنه في الباييس. وتقدم المؤلفة بعض الروائع الأدبية للموريسكيين الذين اضطروا للتخفي وكتابة الإسبانية بحروف عربية، مثل دليل الحج للمسلمين الراغبين في أداء الفريضة يقدم لهم تفاصيل الرحلة من إسبانيا إلى مكة مرورا ببرشلونة إلى البندقية ثم القسطنطينية.

س: هل يمكن اعتبار هذه الكارثة أول حرب تطهير عرقي بأوروبا؟

ج: التطهير العرقي بأوروبا ليس تاريخا انتهى ولكنه حاضر حي، وقد عشت كارثة التطهير العرقي في يوغوسلافيا الأوروبية، وما قرأته عن كارثة الموريسكيين لا يختلف كثيرا عن كارثة البوسنيين، وعن الأصوات التي طالبت وتطالب بإبعاد المسلمين المهاجرين إلى أوروبا وإرجاعهم على ديارهم. فالموريسكيون الذين فروا إلى الجبال ثم طاردتهم القوات العسكرية وقامت بتصفيتهم بالجملة، لا يختلفون عن البوسنيين الذين تعرضوا للإبادة نفسها في هذا العالم وهذا الزمان. وهناك شاعر إسباني يحكي في قصيدة له كيف بقر بطن امرأة موريسكية حامل وأخرج جنينها وقام بتعميده، وكأنه يصف ما قام به العنصريون بالبوسنة والهرسك قبل سنوات فقط.

س: إلى جانب الصمت الرسمي والأكاديمي لوحظ أيضا أن وسائل الإعلام الإسبانية لم تفرد حيزا كبيرا لذكرى طرد الموريسكيين

ج: نعم هناك سكوت إعلامي أيضا، وأظن أن السبب هو تحزب الإعلام، وأنا كما تعلمون مستقل لا أنتمي لأي اتجاه سياسي، وربما لو كان هناك مستقلون آخرون مثلي لتحدثت الإعلام أكثر

س: هل مبادرة مؤسسة التراث الأندلسي من خلال ندوتها عن طرد الموريسكيين في مايو/أيار الماضي كافية لإحياء ذكرى طرد الموريسكيين

ج هذه مؤسسة تقوم بعمل جيد، ونشاطها يساعد على إعادة الاعتبار للثقافة، ولكن وزارة الثقافة الرسمية هي المسؤولة ولكنها لا تفعل شيئاً وأظن أن قلة المستعربين بإسبانيا لا يساعد على هذا، كما أن تراجع اللغة العربية الفصحى في المغرب هي أيضا من العوامل المثبطة. وأنا لا أحبذ انتشار الدارجة المغربية كثيرا لأنها عائق أمام التواصل بين الشمال والجنوب.

س: إضافة إلى المستوى الرسمي والأكاديمي والإعلامي هناك المستوى الشعبي، كيف يتعامل المواطن الإسباني العادي مع تلك الفترة من تاريخ بلاده التي لا تزال بعض معالمها قائمة أما عينيه من خلال أثار ومعالم حضارية بارزة؟

ج: السبب واضح هو أن الناس لا يعرفون تاريخهم جيدا، وتقدم لهم بعض التواريخ دون تفاصيل مثل سنة 1492 طرد اليهود، وسنة 1609 طرد الموريسكيين دون بيان. ولذلك فالإسبانيون لا يعرفون تاريخهم حق المعرفة. طبعا هناك المتخصصون وهم للأسف أقلية، ومن خلال علاقاتي ومشاركاتي في ملتقيات بعدة بلدان خاصة بأميركا اللاتينية ما أعرفه عن تاريخ إسبانيا أكثر مما هو متداول بإسبانيا. واللغة الإسبانية والكاتالانية التي أعرفها تحتوي على تراث وكلمات وأمثال عربية أصيلة. والمترجمون اليهود قاموا بعمل جميل وجبار عندما ترجموا العلوم العربية الإسبانية، كما رفعوا من مستوى لغتهم العبرية بفضل النحو العربي.

وقد بات مؤكدا عندي أنه لا يمكن معرفة التاريخ الحقيقي والكامل لإسبانيا دون معرفة اللغة العربية لأنها تحمل جزءا كبيرا جدا من ذاكرتنا والجهل بها معناه جهل بالتاريخ الإسباني و فقدان لجزء من الذاكرة. وقد سألني كثير من الناس لماذا هذا الاهتمام الزائد لديك باللغة العربية والثقافة العربية وبالغرب عموما، فقلت لهم إنه بفضل اللغة العربية تعلمت أشياء كثيرة عن لغتي الإسبانية، وهناك أمثال شعبية جاءت من المغرب إلى غسبانيا وترجمت حرفيا كالمثل القائل "الفم المسدود لا تدخله الذباب"، والمثل السائر "ولو طارت فهي

عزرة". وهذه اللغة نفسها تعرضت للتطهير والإبادة أيضا فكثير من الكلمات ذات الاصل العربي وهي بالآلاف كانت في الإسبانية ولكننا لا نعرفها اليوم.

س: كيف تقيمون تعاطي الأدب الإسباني المعاصر مع المرحلة الإسلامية من تاريخ إسبانيا ومع قصة طرد الموريسكيين وما صاحبها من جراح وآلام؟

ج: نعم هناك روايات وأعمال أدبية تحدثت عن هذا التاريخ، ولكنها مثالية تتحدث عن الأندلس على أنها كانت مثلا كاملا، وهذا غير صحيح، إذ كانت دائما هناك صراعات كما هي موجودة في كل مكان. الآن وقد صرنا في زمن حقوق الإنسان يمكن أن نتحدث لغة مشتركة، وأنا من أنصار حوار الحضارات الذي دعا إليه رئيس الحكومة الإسبانية ساباتيرو رفقة الطبيب رجب أردوغان رئيس وزراء تركيا.

س: وماذا عن تعامل المؤرخين الإسبان مع قصة طرد الموريسكيين. يبدو أن هناك انقسامات؟

ج: لم يلتفت بعض المؤرخين على قتلهم إلى مأساة الموريسكيين وحجم مشاركتهم في بناء التاريخ الإسباني إلا في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، مثل أميركو كاسترو الذي تحدث عن إسبانيا التعددية وتلاقح الثقافات فيها، وهو الذي خلص إلى أنه لا توجد ثقافة خالصة بشعب معين أو حضارة معينة، بل هناك ثقافات تتلاقح وتتبادل التأثير والتأثير، وهذا صحيح في نظري. كل ثقافة هي جماع التأثيرات التي لاقتها في تاريخها. إسبانيا تتابع فيها السكان الأولون ثم الفينيقيون واليونانيون والرومان والعرب واليهود والتأثير الفرنسي وغير ذلك. وهذا حدث في كل بلد.

س: يبدو أن بعض وسائل الإعلام الإسبانية لا تزال تروج صورة نمطية وقدحية للعرب والموريسكيين الذين تنعتهم بالمورو

ج: عندما كنت صغيرا كنت أسمع بعض أعضاء أسرتي يهددون الصغار بالمورو إن لم يكونوا مطيعين. لكن "المورو" جاءت من "مور" عند شكسبير والآن بدأت الصورة تتغير وتختفي التهديدات التي كانت للصغار.

س: إلى أي حد في نظركم يستطيع من تسموهم "الموريسكيون الجدد" إبقاء ذكرى الوجود الإسلامي في إسبانيا قائمة وربما تعزیزها في المستقبل؟

ج: أظن أن أول شيء ينبغي الالتزام به هو احترام القانون السائد والمعمول به، كما أنه على الدولة والمجتمع احترام عادات وتقاليد هؤلاء الموريسكيين التي لا تتناقض مع القانون. فالاحترام ينبغي أن يكون متبادلا وهذا ما دافعت عنه بقوة دائما، وكنت أردده كلما طلب رأيي في المسألة لدى جميع الأطراف. كنت أدافع وما أزال عن علاقة وثيقة بين الأطفال ولغتهم الأم، طبعاً لن يجديهم تعليم اللغة العربية الفصحى في إسبانيا، ولكن اللغة الدارجة المستعملة والأمازيغية تحتفظان لهم بعلاقات عاطفية مع أوطانهم وثقافتهم ولا مصلحة في قطعها.

س: في عام 1992 اعتذرت إسبانيا رسمياً على لسان الملك خوان كارلوس لليهود الذين طردوا من إسبانيا من طرف الملوك الكاثوليك. كيف تفسر عدم تحمس إسبانيا لتقديم اعتذار مماثل للمسلمين عن مأساة الطرد والتنكيل والتعذيب التي لحقت بهم في العصور الوسطى.

ج/ أنا أيضاً أتساءل السؤال نفسه، وأعتقد أنه لا بد من تقديم الاعتذار لهؤلاء المظلومين وأحفادهم. وإن لم نستطع أن نعتذر فعلى الأقل ينبغي أن نتذكر دائماً ما فعلناه بغيرنا حتى لا نكرره.

س: من القضايا المطروحة حالياً هو منح الجنسية الإسبانية لأحفاد الموريسكيين على غرار أحفاد اليهود المطرودين من الأندلس من حقهم الحصول على الجنسية الإسبانية بعد الإقامة عامين في إسبانيا. لماذا في نظركم هذا الكيل بمكيالين في تعامل إسبانيا بين أحفاد الموريسكيين واليهود رغم أن الجانبين عانوا من نفس الحيف؟

ج: هذا أمر صعب، لأن إثبات النسب أكثر صعوبة من أي أمر آخر. فهناك الذين فروا إلى تونس من إسبانيا وأنشأوا مجتمعات سكنية خاصة بهم، ولكن معاناتهم كانت مزدوجة وقد عبروا عن ذلك بقولهم "عندما كنا في إسبانيا عوملنا على أننا مسلمون، وعندما جئنا إلى هنا عوملنا على أننا مسيحيون".

س: كيف تنظرون إلى نتائج الانتخابات الأوروبية وعودة اليمين الأ يهدد دعواتكم وجهودكم للاعتراف بحقوق الموريسكيين والأقليات المهاجرة؟

ج: هذه كارثة غير منتظرة، ويصعب تفسيرها، ففي وقت الأزمة العالمية التي تسبب فيها الليبراليون وأحزاب اليمين، كان متوقعا أن يصوت الناس للأحزاب الاشتراكية، فإذا بالعكس يحدث. أظن أن الإعلام قام بتوجيه الرأي العام، كما أن المخاوف ضد المهاجرين كانت وراء هذه الاختيارات، إذ أن هناك مجموعات عنصرية ضد المسلمين وضد المهاجرين وأخشى أن يزداد صوتهم ارتفاعا.